خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٥/ ١١/ ٢٠١١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

✡✡✡✡✡

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في هذه الأيام يُحتفَل في بعض الدول الأفريقية باليوبيل الذهبي لاستقلالها. و وتساهم في هذه الاحتفالات منظمة Pan African Association التي تعمل تحت مظلة الجماعة أيضا. لقد أُسست هذه المنظمة في عهد الخليفة الرابع رحمه الله لتشمل الإخوة الأفارقة. وستشارك هذه المنظمة أيضا في احتفالات البلاد

الأفريقية وترتِّب حاليا برامج مختلفة بهذا الصدد. لقد طلبوا مني أيضا أن أشارك في احتفالهم الذي سيُعقد بهذه المناسبة، وسوف أشترك حتمًا. أما الآن فأريد أن أقول شيئا حول موضوع الحرية والاستقلال. فالتحرر من الرق وحرية الضمير والحرية الدينية نِعَم عظمى بلا أدنى شك. إن معظم البلاد في القارة الأفريقية عاشت في الرق كالعبيد إلى فترة طويلة؛ فاحتفالهم بعيد الاستقلال هام جدا لهم، وهو من حقّهم دون أدنى شك. ندعو الله تعالى أن تكون هذه الحرية التي نالوها قبل خمسين عاما من الآن أو ستين سنة في بعض الحالات حرية حقيقية وألا يقعوا في براثن العبودية مرة أخرى. بل إذا استفادوا من هذه الحرية بحسن النية والتقوى والعدل فليس مستبعدا أن تصبح القارة الأفريقية قدوة العالم في السنوات القادمة.

عندما ننظر في تاريخ الأديان نرى أن الحرية من أهم المهمات وأعظمها التي يأتي مؤسسو الأديان أو الأنبياء لإنجازها، سواء أكانت حرية من عبودية الملوك الغاشمين وفراعنة عصرهم أو من أغلال التقاليد والعادات التي وضعها في الرقاب أدعياءُ الدين المزعومون بُغية تحقيق مآربهم أو بسبب الفساد في الدين. فالحرية من كل نوع من العبودية المذكورة آنفا تتحقق بواسطة الأنبياء. ولكن للأسف الشديد هناك كثير من الأمم التي لم تُدرك هذه الحقيقة فلم يُحرموا من حريتهم الحقيقية فقط بإنكارهم حَملة راية الحرية الحقيقيين بل وقعوا تحت بطش الله أيضا ودُمّروا تدميرا، وذلك حين آثروا عبودية الحكام الدنيويين على عبودية أحكم الحاكمين، وفضّلوها على تلك الحرية التي تُفتح بها آفاق جديدة للحريات كلها.

فبسبب التغيّر في أولويات الحرية لم يفقدوا الحرية الحقيقية فقط بل فسدت دنياهم ودينهم أيضا. فكلما تعمّقنا في حقيقة الحرية نجد أن الحرية الحقيقية تُنال بواسطة الأنبياء فقط. إن أفضل شمس للحرية التي أشعّتها منتشرة إلى أبعاد شاسعة في كل حدب وصوب والتي تحيط بكافة أنواع الحرية إنما هو نبينا الأكرم ﷺ الذي لم يحررّ الناس من الرق الظاهري فقط بل حررهم أيضا من مختلف الأغلال التي كانوا قد وضعوها في أعناقهم. بل إن الارتباط الوثيق معه هي الوسيلة العظمى اليوم أيضا لنيل الحرية. وحين خلع الله تعالى عليه ﷺ لقب خاتم النبيين فقد أحاطت خاتميته بالأحوال الدينية والدنيوية كلها وختمت على هذا المبدأ، ولا شك في ذلك بل لا يمكن أن يتطرق أيّ شك إلى ذهن صاحب الفطرة السليمة بعد شهادة الله وإعلانه بأن الخاتَم المحمدي هو الذي يمكن أن يصدّق جميع الكمالات، وإن قمة هذه الكمالات متحققة في شخص نبينا الأكرم ﷺ. ما دام النبي ﷺ هو القمة في كل أمر، فلا بد أن تتحقق في شخصه كمالات جميع أنواع التحرر والحرية أيضا، وهذا ما حصل على صعيد الواقع. فقد شاهد العالم أن هذه الكمالات قد تحققت في ذاته ﷺ بكل قوة وعظمة. ولا يزال المنتمون إليه ﷺ بصورة حقيقة يرون تحققها إلى الآن. إن الكتاب الكامل الذي نزل عليه ﷺ هو أعظم الكتب وقد ذُكر فيه موضوع الحرية بشتى الطرق والأساليب. وإن أسوة النبي ﷺ تجعل هذا التعليم الجميل نورا على نور. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فكُّ رقبةٍ﴾ أي تحرير الرقيق أو المساعدة في تحريره. سأقرأ عليكم الآن جزءا صغيرا من آية

يقول الله تعالى فيها: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾(البقرة: ١٧٨)

وإذا نظرنا إلى الموضوع الذي يجري الحديث حوله فسيكون المعنى أن تحرير العبيد حسنة كبيرة. الحق أن هذه هي الحسنات التي تقرّب الإنسان إلى الله تعالى بعد الإيمان بالله وباليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين. فمن تلك الحسنات تحرير العبيد أيضا.. أي أن تحرير العبيد أو المساعدة في تحريرهم أيضا حسنة كبيرة من أجل الثبوت على الإيمان والتقدم في مجال الحسنات ولضرب الأمثلة العليا للحسنات. هناك روايات كثيرة في الأحاديث بهذا الصدد. فقد ورد في رواية في صحيح البخاري: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِن النَّارِ. (صحيح البخاري، كتاب العتق)

هذا، وقد جاء في عدة آيات من القرآن تعليم تحرير العبيد على سبيل الكفارة. فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ (النساء: ٩٣) وهذه الكفارة ليست مقصورة على قتل المؤمن، بل قال الله تعالى أيضا: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ .... وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (النساء: ٩٣) وفي آية أخرى تُركت إمكانيات مختلفة مفتوحة بحسب سعة كل شخص كفارةً على نقضه اليمين.. أي إن لم تقدروا على تحرير رقبة فافعلوا في هذه الحالة كذا أو كذا، وقد ذُكر تحرير الرقيق أيضا ضمن هذه القائمة.

والسبب في ورود ذكر تحرير العبيد بمناسبات مختلفة هو أن الإسلام يريد أن يقضي على العبودية شيئا فشيئا. كان الرق رائجا في زمن النبي ﷺ وما قبله، وقد ركّز الإسلام بمناسبات مختلفة على القضاء على الرق كما قلت من قبل. بل قد ورد أيضا في الأحاديث، كما جاء في رواية: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: كُنَّا نُؤْمَرُ عِنْدَ الْخُسُوفِ بِالْعَتَاقَةِ. (صحيح البخاري، كتاب العتق) أي الذين يقدرون على ذلك يجب عليهم أن يفعلوه.

ثم حافظ ﷺ على كرامة الرقيق وصان حقوقهم. فقد جاء في رواية أخرى حيث يقول الراوي: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَسَابِعُ إِخْوَةٍ لِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا لَنَا خَادِمٌ غَيْرُ وَاحِدٍ فَعَمَدَ أَحَدُنَا فَلَطَمَهُ فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُعْتِقَهُ. (صحيح مسلم، كتاب الأيمان) أيْ أنكم لا تستحقون أن يبقى هو خادما لديكم لأنكم لا تحسنون معاملة الخدم.

ففي الزمن الذي كان الرق أمرا عاديا، وكان الأغنياء يمتلكون ثروات هائلة، وكان يُعتبر الغني غنيا بقدر ما كان يملك من العبيد، وكان الأغنياء يمتلكون العبيد بوجه عام.. عندها بيّن الإسلام أنّ مَن يريد الثروة الحقيقية وهي ثروة الإيمان فعليه بتحرير الرقاب. وقد حرر الصحابة نتيجة هذه الأوامر من العشرات إلى الآلاف من العبيد دفعة واحدة بحسب إمكانياتهم. وقد ورد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه بأنه حرر عشرين ألفا من العبيد دفعة واحدة وحرر غيره أيضا بالآلاف. وقد حرر بعض الصحابة بالعشرات كل بحسب إمكانيته. والذين كان عندهم بعض العبيد لخدمتهم أمِروا بحسب تعليم الإسلام أن يعاملوهم كالإخوان، أي أن يُلبسوهم مما يلبسون ويُطعموهم مما يأكلون. لقد

كانت أسوة النبي ﷺ في هذا الصدد أنه حين سلّمت السيدة خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ جُلّ ثروتها وعبيدها بعد الزواج منه ﷺ، أعتقهم النبيُّ ﷺ جميعا. وتبنَّى زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي كان ضمن هؤلاء الأرقاء وعامله بلُطف وحب لدرجة عندما جاء أبواه ليأخذوه معهم إلى أهله رفض زيد الذهاب معهم.

إذًا، هذه كانت معاملته ﷺ الحسنة، فقد كانت قمة الحسن والإحسان التي بسببها آثر زيد العبودية على الحرية، وضرب القرابةَ الدموية عُرض الحائط عند المقارنة بينها وبين حب النبي ﷺ له.

فباختصار، لا يستطيع الذين يعترضون على النبي ﷺ وعلى الإسلام أن يقدموا جزءا من ألف جزء، بل من مئة ألف جزء مقابل هذا الاهتمام بحرية العبيد وحرية البشرية إلى هذا الحد. فأمر النبي ﷺ أتباعه أن يحسنوا إلى العبيد في تكليفهم بالأعمال والأشغال، وإذا طلبوا منهم إنجاز عمل شاق وصعب فعليهم أن يساعدوهم في ذلك. فقد غيّر ﷺ تعريف العبودية كليا.

فنظرا إلى ذلك يقول المستشرق الإيطالي "وِجْلَيْري" ما تعريبه: إن ظاهرة العبودية موجودة منذ نشوء المجتمع الإنساني وما زالت موجودة. إن المسلمين سواء أكانوا بدوًا أم متحضرين فإن حالة العبيد عندهم أفضل بكثير من حالتهم عند غير المسلمين. ويكون من الإجحاف تماما أن تُقارَن العبودية في البلاد الشرقية مع العبودية التي كانت في أميركا قبل مئة عام.

كما يتضمن الحديث النبوي التركيز على مواساة البشر، يقول حضرته ﷺ: لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي، أَمَتِي.. وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلامِي. ثم *يقول*: إذا أمعنا النظر تاريخيا في هذه الأحداث تبين لنا عِظَم الإصلاح الذي قام به النبي ﷺ في

هذا المجال. كانت حرية المقترِض الحرّ قبل الإسلام في خطر إذا لم يتمكن من تسديد دينه، أي كان من المفروض على المقترض أن يخدم المقرِض حتى يتمكن من تسديد دَينه، أو كان احتمال لذلك. لكن الإنسان بعد اعتناق الإسلام لا يستطيع أن يسترقّ مسلمًا حرا، إن نبي الله لم يقيد الرقّ فحسب بل قد أصدر الأوامر والنواهي في هذا الصدد. وطلب من المسلمين أن يتقدموا على هذا الدرب، حتى يأتي تدريجيا وقتٌ لا يبقى فيه أي رقيق.

هذا البروفيسور وِجليري قد ألّف كتابه باللغة الإيطالية ثم تُرجم إلى الإنجليزية، وكانت الجماعة في أميركا قد نشرت هذا الكتاب الذي تناول بيان تعاليم الإسلام بأروع أسلوب، وإن كانت حقوق نشره غير محفوظة وكانت الجماعة قد سُمح لها بنشره فعليها أن تعيد نشره، فهو يضم مادة كافية لإفحام الأعداء الذين يعترضون على الإسلام والنبي ﷺ.

فهذا التعليم وهذه الأسوة الحسنة التي أشاد بها الآخرون أيضا، إنه لتعليم عظيم وأسوة حسنة تشكِّل حقيقة حرية الإنسان، فقد قدمتُ لكم بعض الأمثلة ونجد في القرآن الكريم والحديث النبوي أوامر وتوجيهات كثيرة بهذا الخصوص. وهذا هو التعليم الحقيقي الذي بالعمل به يمكن أن ينال العالم الحريةَ، ويتحقق الأمن والسلام والإنصاف، فعلى أبناء الجماعة في البلدان الأفريقية التي نالت الحرية أن ينشروا هذا التعليم هناك، ويسعوا جاهدين ليجعلوا أكبر عدد من الناس غلمان النبي ﷺ لكي يدركوا مغزى الحرية. فالحرية لا تتحقق باحتفال اليوبيل الذهبي مرة واحدة فقط، بل سوف تتحقق الحرية عندما يدرك الحكامُ والشعوبُ معًا هذه الحقيقةَ أنه كيف يمكن الحفاظ

على هذه الحرية وما هو المنهج الذي علينا اتخاذُه، ولن يجدوا هذا المنهج والأسلوب إلا في أسوة النبي ﷺ وتعليمِ القرآن الكريم. ثم إن وِجليري كتب فقط أن المسلم لا يسترق مسلما آخر! لكنني أقول: لا يمكن أن يُسترقّ أحدٌ من الناس في المجتمع الإسلامي الحقيقي.

يجب أن لا يغيبن عن بال المسلم الأمرُ المهم جدا أن نصيحة النبي ﷺ الأخيرة قبل الوفاة هي أن لا يُنسَى تعليمه ﷺ عن الصلاة والرقيق. إلا أن من شقاوة أغلبية المسلمين ولا سيما الأثرياء منهم ورجال الحكم أنهم نسوا هذين التعليمين كليهما؛ إذ لا نجد عندهم الاهتمام بالصلاة والرغبةَ فيها ولا خشية الله، ولا هم يسعون للقضاء على الرق. صحيح أن الرقيق لا يُشترون ولا يباعون في السوق في العصر الراهن، إلا أن الحكام يتعاملون مع الشعب معاملة الرقيق، فهذا الاضطراب والشغب الذي نلاحظه في بعض البلاد ولا سيما العربية حيث نشأ لديهم الشعور بأنهم يعامَلون معاملة الرقيق، فحين يصبح أحدهم رئيسا باسم الديمقراطية فإنه يسعى أن يبقى رئيسا طوال الحياة، وبعد وفاته ينال أولاده السيطرة على الحكومة، فالمتملقون المغرضون يلتفّون حولهم ويغيِّرون أولوياتهم وقِيَمهم تماما، ويبذلون كل ما في وسعهم للاستمرار في الحكم، حيث يُطلَق الرصاص على المواطنين، ثم تتقدم القوى المعادية للإسلام أو القوى العظمى أو القوى المغرضة، وتثير باسم المساعدة الاضطراباتِ – التي تقام من قبل الشعب لنيل النجاة من مظالم الحكام – لتنال مكاسبها وتحتل ثروات البلد. فهم يأتون بحجة المساعدة فتبدأ الدورة الشيطانية التي تخلِّف البلاد عن ركب التطور مائة عام، وتجعل جهود الشعب لنيل الحرية مغلولة

أكثر، فالناس يتحررون من عبودية أبناء بلدهم ويتحولون إلى عبودية الآخرين بشكل غير مباشر إن لم يكن بشكل مباشر. فقد قلت سابقا إن بعض القوى العظمى تدعم بعض الأشخاص لتستمر حكومتهم على مرّ السنين الطويلة دون أن تبالي بحرية الشعب، لكنه حين لا يبقى لديها أي أمل في مكاسبها من تلك الحكومات فإنها تسعى لعزلهم عن الحكومة والإطاحة بعروشهم باسم حرية الشعب. لكن الوضع في العصر الراهن في بعض البلاد في الماضي القريب أنه حين عُزل الحكام وجاءت حكومةٌ جديدة، بدأ يظهر الآن اضطرابُ هذه الحكومات أنه لم يأت في الحكم من أرادوا هم، ففي بعض المناطق لم تحدث التغييرات بحسب رغبتهم أو يظهر الاحتمال بأن التغيير لم يُفد شيئا. فهذه الأمور تسبب لهم قلقا واضطرابا وتكاد تبدأ سلسلة أخرى للفساد والنفاق، بل قد بدأت في بعض الأماكن، والشعوب أيضا عرضة لسوء الفهم، بحيث تنتقل من عبودية حكومة إلى عبودية الأخرى بل قد تم هذا الانتقال في بعض المواضع، والآن ينشأ لديها إحساس بأن ثروة البلد ما زالت لا تنفق لرفاهية المواطنين ومصالحهم وإعطائهم الحق والإنصاف والتعليم، ولن تُنفق لأن الأشخاص الذين يتولّون سدة الحكم لهم أيضا مصالح ومكاسب شخصية.

فالفقر ومستوى الحياة المتردي سيبقى في المستقبل أيضا ويستمر كما كان في الماضي على عكس سوء فهم البعض، فسوف تلاحظون ذلك في القريب العاجل. ذلك لأن الحكام لا يعملون بتوجيهات النبي ﷺ فهم يُدعَون مسلمِين ولا يعملون بنصائح النبي ﷺ. ففي الماضي كان الرجل يملك رقيقا على أساس ثروته، أما الآن فتُستخدَم ثرواتُ البلد لاسترقاق المواطنين، فوسائل الإعلام

أيضا بدأت تتحدث وتنشر الصور أن المواطنين حتى في البلاد المنتجة للنفط يعانون الفقر والعوز، ففي مناطق قصور من ذهب وفي أخرى لا يتوفر للناس وجبتان في اليوم.

فبغصب الحقوق يُسترق الشعب، فكان زمن حين اضطر سيدنا عمر رضي الله عنه لاستعادة الجيش الإسلامي من المنطقة المسيحية التي فتحوها لأنه رأى أنه لا يستطيع الحفاظ على السيطرة عليها بسبب الجيوش المعادية القوية، فأعاد المبلغ الذي أخذوه من النصارى ضريبةً نظير حمايتهم لهم ومصالحهم وأداء حقوقهم كشعب، قائلين بما أننا لم نعد نقدر على أداء حقوقكم أكثر لهذا نعيد مبلغ الضريبة هذا إليكم، فودَّعتهم الرعيةُ المسيحية باكين وداعين أن يعيد الله إليهم المسلمين مرة أخرى، لأنهم لم يشاهدوا قط الحكامَ مثلهم. فالحقوق والعدل الذي وجدوه في الحكومة الإسلامية لم يجدوه في حكومتهم. أما في العصر الراهن فالحكام المسلمون يغصبون ثروات المواطنين المسلمين واختفى العدل من البلاد، وتُغصب الحقوقُ ولا ضمان لحياة أحد ولا لماله، ومع ذلك يدّعون بمنتهى الجسارة أن ما يقومون به من أجل الشعب لا يقدر عليه أحد غيرهم. فهذه الثورات التي قد ظهرت في بعض البلاد والتي كما قلت يستغلها المغرضون لكسب مصالحهم، كما يسعى البعض الآخرون لنيل المكاسب باسم الدين، فلو كان الشعب أعطي له الحقوق ولو كانت الحكومات تتمسك بالعدل، وحُفظت حريةُ الشعب، لما حدث كل هذا وذاك. فلو كانت الحكومات تسعى لإقامة العدل بدلا من الجشع والطمع لما ظهرت هذه الاضطرابات.

ورجال الدين بتفسيراتهم الخاطئة وخلْقهم في الدين عادات لا علاقة لها بالدين قد وضعوا أغلالا في أعناق العامة الذين ليست عندهم أي معرفة بالدين والذين لم يتلقوا علومه. لقد قال الله ﷻ بحق هذا النبي العظيم الذي بُعث لإقامة عظمة الإنسانية: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف ١٥٨) أما هنا في البلاد الإسلامية فنجد الوضع مقلوبا تماما في العصر الراهن، فالبلاد الإسلامية التي يؤمن سكانها بهذا النبي أو يدَّعون الإيمان به كان ينبغي أن تتأسى البلاد غير الإسلامية بأسوتهم في تأدية الحقوق وإقامة العدل ومنح الحرية للشعب وتحقيق الرقي والازدهار، غير أن الأمر معاكس تمامًا. أما العلماء - الذين كان ينبغي أن ينشروا التعاليم الإسلامية الصحيحة وينـــزهوا المسلمين من جميع أنواع البدعات - فقد جعلوا أطواقًا كثيرة في أعناق المسلمين. فإن كلا الفئتين -أي القادة السياسيين والزعماء الدينيين- قد أثقلوا كواهل عامة المسلمين بأوزار العبودية وصفّدوهم بسلاسل الأطواق. فليس الحكام فقط واقفين في قفص الاتهام، بل علماء هذا الزمان أيضا يشاركونهم لأنهم أيضا استعبدوا الناس لما تلاعبوا بمشاعرهم وقدموا لهم - باسم الدين - تقاليد فارغة ومعتقدات باطلة. ستستمر هذه السلسلة ولن تنتهي ما لم يؤمنوا بمن بعثه الله تعالى في هذا العصر لإقامة القيم الإنسانية، ومن جاء لتخليصنا من جميع أوزار العبودية والأغلال التي علينا إلا عبوديةً واحدةً وهي عبودية الله واتباع رسوله ﷺ، وجاء هذا المبعوث مناديًا إلى هذه العبودية التي تنبثق منها سبل جديدة للحرية الحقيقية، والتي يتراءى فيها العدلُ والمساواةُ، بل يتراءى فيها مجتمعٌ رائعٌ لا يخرج فيه الناس في التظاهرات من

أجل المطالبة بحقوقهم، ولا يتبعون طرقًا غير شرعية من أجل نيل الحرية، بل يسعى فيه الجميعُ - مَلِكًا كان أم فقيرًا - لإعطاءِ الحقوق للآخرين. فليس ثمة سبيل آخر لإقامة وقار المسلمين وإنقاذهم من جميع أنواع الفساد إلا سبيل واحد وهو أن يعملوا وفق أوامر الله تعالى وأوامر الرسول ﷺ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا امتنعوا من تكذيب ذلك الشخص الذي بعثه الله تعالى في هذا العصر لأداءِ الحقَّين المذكورين.. أي حقوق الله وحقوق العباد.

لقد قدم لنا المسيح الموعود عليه السلام في مناسبات شتى هذا التعليم الذي يكفل إرساء دعائم العدل والذي يضمن الحرية الدائمة، قال حضرته في إحدى هذه المناسبات:

"اعلموا أنه يجب على كل مسلم أن يكون مستعدًّا لأداء حقوق الله وحقوق العباد في كل حين وآن. وكما أنه بلسانه يعتبرُ اللّهَ تعالى واحدًا لا شريك له في ذاته ولا في صفاته كذلك يجب أن يُرِيَ ذلك من خلال عمله أيضا، فينبغي أن يعامِل خلق الله تعالى بمواساة ومرحمة."

قال حضرته: "ما لم تَصْفُ علاقاتكم فيما بينكم لا تصفو علاقتُكم مع الله تعالى أيضا. لا شك أن الحق الأكبر من بين هذين الحقَّين هو حق الله تعالى، ولكن معاملة أحد مع مخلوق الله تعالى أيضًا تُمَثِّل مرآةً لأدائه حق الله تعالى. فمن لا تصفو علاقتُه مع إخوته فلا يمكنه أداء حق الله تعالى أيضا. (*هذا لو اعتبره أخًا له ثم حاول تأدية حقوقه، أما لو اعتبر نفسَه أفضل من غيره واعتبر الآخر حقيرًا ذليلا فلا يرجى منه أي نوع من العدل أو الأخوّة، يقول حضرته:*) إن الجماعة التي أسسها نبينا الكريم ﷺ، كل واحد منها كان نفسًا

زكية مطهرة إذ ضحى بنفسه من أجل الدين، ولم يكن فيهم أحدٌ يعيش حياة النفاق بل كانوا جميعا يؤدون حقوق الله تعالى وحقوق العباد."

فلا تتولد تلك الحالة - التي تجعل الإنسان ممن يؤدون حقوق الله تعالى بإخلاص ثم ينتبهون إلى أداء حقوق المخلوق أيضا - إلا إذا داوم الإنسان على إيثار الدين على الدنيا. فلا نرى اليوم قائدًا أو زعيمًا واحدًا في البلاد الإسلامية يحقق هذه المعايير المذكورة. فإذا لم يكن ثمة زعماء عادلون يحرصون على أداء حقوق قومهم فسيتبع الجميع أساليبهم من أجل حقوقه وحريته، وهو الوضع الذي يستغله المغرضون مما يسفر عن حدوث حكايات جديدة لممارسة الظلم باسم الحرية. فإن الحرية اليوم عبارة عن الخروج من عبودية إلى عبودية أخرى، وهذا هو الوضع السائد في البلاد الأفريقية أو غيرها من البلاد المسلمة التي إذا تخلص الشعب فيها من عبودية الأغيار صار عبدًا لبنيه.

وفّق الله تعالى رؤساء البلاد الإسلامية والأفريقية والساسة فيها والجيش - الذي يطيح بالحكومات بالانقلاب العسكري - والزعماء الدينيين والعلماء لفهم هذه الحقيقة بأنهم لن ينجوا من بطش الله تعالى إذا بقوا يصفّدون قومهم بسلاسل العبودية، وإن ظلوا معرضين عن مراعاة العدل وأداء حقوق الآخرين لأن كلكم راع وكلكم مسؤول عن أداء حقوق رعيته. فسيُسألون: هل أديتم مسؤوليتكم تجاه شعبكم أم بقيتم مشغولين في تكديس خزاناتكم بثروات البلد؟ لقد كنتم تنادون باسم الله تعالى وباسم الرسول ﷺ ولكن هل حققتم مقتضياتٍ لقُدسية هذا الاسم أيضا؟ وإذا كان جوابهم بالنفي فسيُبطش بهم، ولا يسع أحد أن يكذب أمام الله تعالى إذ لا يمكن إخفاء شيءٍ عنه عَزَّ وَجَلَّ. يقول

الله تعالى عن المؤمنين الحقيقيين أنهم: ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(المؤمنون ٩)، فلا بد أن يُسأل هؤلاء الحكام عن أماناتهم لأنهم يعاهدون الله تعالى عند أدائهم اليمين بأنهم سيسعون جاهدين للعمل من أجل مصالح البلد والشعب ولتحسين حالتهم ولأداء حقوقهم وإقامة العدل فيهم ومنحِهم الحرية. ولكن ما أشقى هذا الوضع إذ نرى في معظم الأماكن ثروات البلد منهوبةً! أما العلماء فقد اتخذوا الدين ذريعة لكسب المال، وجعلوا في أعناق عامة الناس أطواقًا من التقاليد الفاسدة والمعتقدات الباطلة ليستعبدوهم إلى الأبد. أما عامة الناس فلا يؤدون أيضا حقوقهم ومسؤولياتهم. باختصار، كأن الجميع يستدعون مقت الله تعالى بعدم أدائهم الأمانات المفوَّضة إليهم، وإن أعمال الفساد في البلاد اليوم نتيجة منطقية لهذه الظاهرة. وإن الإرهاب وتعثُّرَ الاقتصاد وأعمالَ الفساد ليست مقتصرة على الحاضر فحسب بل هي تُنذر بمستقبل مثيرٍ للقلق والاضطراب. فعلى سبيل المثال لقد بلغت هذه الأمور ذروتها في باكستان خلال ٦٢ أو ٦٣ عامًا بعد استقلالها، وتزداد الأوضاع سوءًا يومًا بعد يوم لدرجة لا يسع أحد القول ماذا سيحدث غدًا، فكيف يسعنا إذا أن نتوقع مستقبلا باهرًا في ظل هذه الظروف. صحيح أننا تخلصنا من عبودية الإنكليز ولكن تعرضنا لأطواق عبودية بني شعبنا. رحم الله تعالى بلدنا وشعبه أيضا.

ماذا يحدث في البلد الذي أعلن القائد الأعظم (محمد علي جناح مؤسس باكستان) عند استقلاله بأن الجميع فيه سيتمتعون بحرية دينية مهما كان انتماؤهم الديني لأنهم سواسية لكونهم مواطنين لباكستان؟ ماذا يحدث في هذا

البلد نفسه مع الأحمديين؟ يفترون على الأحمديين ويتهموهم كذبًا بأهم يرتكبون إهانة للنبي ﷺ - والعياذ بالله - في حين أن الأحمديين يفضلون عبوديةَ محمد المصطفى ﷺ ألف مرة على جميع أنواع الحرية الموجودة ويستعدون حتى لتُقطع رقابهم من أجل بقائهم في هذه العبودية. لا نبالي بأهم حرمونا من الحقوق المدنية، ولا أهمية لها عندنا، بل لو حُرمنا من جميع الحقوق لتحمّلنا ذلك، بل لا زلنا نتحمّل هذا الوضع، ولكن لا يسعنا أبدًا الانفصال عن سيدنا محمد رسول الله ﷺ نزولا عند رغبة هؤلاء الزعماء والعلماء. لماذا لا يستخدم الأحمدي حقه في التصويت في باكستان؟ لأهم يقولون لنا بأن حقّكم هذا وحريتكم هذه مشروطان بإعلانكم بأنكم لستم مسلمين ولا علاقة لكم بالنبي ﷺ، ولكننا نقسم بالله تعالى أننا نقبل أن يقطعونا إربًا إربًا وسنبصق على هذه الحرية وحق التصويت الذي يفصلنا عن سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ. فمبارك لكم - أنتم يا عباد الدنيا - مثل هذه الحرية، أما نحن فقد آثرنا على مثل هذه الحرية تلك العبودية التي تشرفنا أن نكون ذرات تراب تحت النعلين المباركين لسيدنا محمد ﷺ، وبالتالي تجعلنا عبادًا حقيقيين لله تعالى ومن الذين يدركون أهمية حقوق الله تعالى فيؤدوها ويدركون أهمية حقوق العباد فيؤدوها. وسيأتي يوم بإذن الله تعالى يُري فيه تواضُعُنا وعبوديتُنا هذه العالمَ كلَّه وجهَ الحرية الحقيقية. وسيفتخر هؤلاء أو ذريتهم - الذين يعتبرون أنفسهم الآن بأهم يتمتعون بالحرية في حين أهم واقعون تحت أثقال من الأغلال والأوزار والأطواق - بعبودية المسيح المحمدي التي يدركون من

خلالها مغزى الحرية الحقيقية التي جاء لإقامتها سيدُنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ.

وفق الله تعالى العالم ليرى أيام الحرية هذه في القريب العاجل وينجو من النتائج المخيفة التي سيواجهها بسبب إنكار المبعوثين من الله تعالى. ووفقنا الله تعالى جميعًا - نحن الأحمديين- أيضا لقضاء أيام الشدائد هذه بكل صبر وثبات مركِّزين على الدعوات، آمين.

۞۞۞۞۞۞